٢ ـ مشـــــهد ومكة

للأستاذ أمين الخولى

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

أصبح من الواجب أن أعود الى الحديث عن مشهد ومكة ، لما عاد الأخ الأستاذ عبد الوهاب عزام الى الموضوع ، ففتح أبواباً كثيرة للكلام ، وأنها لحقيقة من حقها علينا أن تنجلى وتتكشف

* * *

ويأذن لى القارىء أن أرسل أول الأمر تحية خالصة الى الأخ فى حله ورحيله ، ودعوات صالحة بأن يوفقه الله دائماً ، وسلاماً اليه . . . ثم سلاماً على عبارات مهتاجة وردت فى كلمته التى رد بها

كل ما فى الأمر : ١ ـ أن الأستاذ قال مالفظه : « وأفظع من هذا ـ أى الخطأ كله ؛ قوله ـ الرحالة ـ عن اخواننا شيعة ايران أنهم يفضلون مشهداً على مكة » . فقلت له : « لا خطأ ولا فظاعة ، لأن فلاناً العالم الشيعى قال فى كتاب كذا صفحة كذا نقلاً عن كتاب البحار الذى يعد من أمهات كتب الشيعة : « إن كربلاء أفضل من مكة ، فلا خطأ » . قضايا محدودة ، قصيرة ، وجيزة ، واضحة ، متقابلة الأطراف ؛ لا أجد فيها محلاً للمخالفة . . . وليس يقال مع هذا التحديد إنى مجازف فى الاستشهاد بكتب الشيعة قبل الاطلاع عليها ، لأنى قرأت بلا شك ما نقلت ، وقلت بقدر ما قرأت وفهمت . قرأت فى كتاب شيعى عن كتاب شيعى من أكبر إن لم يكن أكبر ما يرجع اليه فى بيان عقائد الشيعة ومذاهبهم ، كتاب عن كتاب ، فهناك على الأقل جمع منطق أيسره اثنان . . . . ثم ماذا قرأت ؟ قرأت أخباراً تنعتها كتب الشيعة بأنها متواترة أى رواية جمع عن جمع ، كما تنعتها بالكثرة ، ويدل مرجعى على مكانها من أجزاء الكتاب الكبير الذى يعزو اليه . . . فدليلى واف بدعواى ؛ وليس من الموضوع فى شىء أنى فرحت بالكتاب أو لم أفرح ؛ وليس يجب فى شىء أن يكون لى بالشيخ مؤلف الكتاب صداقة قوية أو صلة شخصية .

٢ — مع هذا كله يقول الأستاذ عزام فى رده على : « فقد ادعى أن كتب الشيعة تقرر هذا التفضيل ، ثم لم يرجع الى كتب الشيعة ؛ ولم يتحر أقوال أئمتهم ، ولكنه اكتفى برواية فى كتاب فرد لمؤلف ... الخ » فهل لم أرجع الى كتب الشيعة ! ! . وهل اكتفيت برواية فى كتاب ؟ ! وهل هو كتاب فرد ؟ ! . على أن الأستاذ بعد هذا بقيراط من الورق ذكر « كتب الشيعة » وما فيها مرتين ، فنتوقع من صاحب الملاحظة السابقة أن يحتج من « كتب الشيعة » بأقل الجمع ولو عند المناطقة وهو اثنان ، ولكنك لا تراه يذكر إلا كتاباً فرداً هو « وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة » على حين يكرر الحديث عن قراءاته وخلاصة قراءاته فى كتب الثقات ، ويتحدث عن قراءاته فى كتب الثقات وهو ذاكر أنى اكتفيت بكتاب فرد ، وأنه لا يرى ذلك ، فكيف يجىء هذا ؟ ! .

٣ — لما أراد الأخ الأستاذ نقد خبر الرحالة « تفضيل الشيعة مشهداً على مكة » استنتج استنتاجا وقال : « وكيف يعقل أن أمة مسلمة ... الخ » فسلمت له اختصاراً واقتصاراً أن هذا غير معقول ، وقلت عرضا إن مالا يعقل قد يعتقد ، وان العقل ومنطقه شىء ، والاعتقاد وسلطانه شىء آخر . فقال أعزه الله : إن هذه فلسفة لم يتهيأ هو لفهمها . فليسمح لى اذن أن أقول فى غير فلسفة :

ا — إن من المعقول أن يكون الحج إلى مكة فرضاً وأن تفضل الشيعة مع ذلك مشهداً على مكة ! فالأخ يعرف أن الوقوف بعرفة ركن فى فريضة الحج ، ويعرف أن زيارة الرسول عليه السلام ليست ركناً فى تلك الفريضة ولا واجباً ؛ ويعرف فى الوقت نفسه أن المسلمين جميعاً يفضلون زيارة الرسول عليه السلام ويتطوعون بهذه الزيارة فى غير موسم الحج من أيام السنة ؛ ويشدون الرحال لها ، ويتمنون المجاورة بالمدينة المنورة ، ويؤثرون الموت فيها . ولا أعرف واحداً منهم جاور بعرفة أو حرص على زيارتها . فتفضيل مشهد على مكة يتفق تعقله مع كون الحج إلى مكة فرضاً . هذا هو القدر المعقول فى المقام ، والذى يتصل بفرضية الحج إلى مكة وتفضيل مشهد عليها .

ب — لكن الأستاذ عزاما لا يقول هكذا ، بل يقول : « وكيف يعقل أن أمة مسلمة شديدة الغيرة على دينها تعتقد أن

الحج إلى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، كيف يعقل أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج إلى مكة » . وانا هنا مواقف : إن الرحالة ناقل يخبر ، ولا يرد الخبر بهذا الاستنتاج العقلي ؛ فأتم التناقض على المفضلين لا على المخبر . ولا يقال لناقل الخبر إنك خاطىء ، بل يقال إنه كاذب أو غافل أو غير متحرا وما إلى ذلك . على انا لو جاوزنا هذا نرى التناقض المعقود غير ما نحن فيه . فخبر الرحالة أو دعواه — ان شئنا — أن الشيعة تفضل مشهداً على مكة ؛ وكذلك تقول عبارة الأستاذ عزام فى نقده ، وتفضيل مشهد على مكة غير تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ؛ ولا يلزم من تفضيل مشهد على مكة تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ، كما لا يلزم من تفضيل مسجد الرسول عليه السلام على عرفات تفضيل زيارته على الوقوف بعرفة ؛ ولن ننسى أن الرحالة — فى نقل الأستاذ عزام — يخبر بتفضيلهم مشهداً — لا زيارتها — على مكة — لا على الحج إليها —

حـ — والعجب أن الأخ الأستاذ يقحمني أيضاً فى مسألة الزيارة والحج ويضع فى رده خطاً تحت قوله « زيارة مشهد أفضل من الحج » كأنى كنت فيما كتبت مشتغلا بنقد استنتاجه لا بتصحيح خبر الرحالة من كتاب شيعى غير عامى ؛ والأستاذ بذلك يقول عنى إنى أدعى « على بعض المسلمين أنهم يفضلون زيارة كربلاء على الحج وهو قاعدة من قواعد الاسلام » وأنه فاتني التثبت فى ذلك الادعاء . . الخ . ومن الفكه أن لفظتى « حج » و« زيارة » لم ترد فى كلمتى مطلقاً ، بل لم تقما كذلك فيما استشهدت به من كلام العالم الشيعى المحدث مطلقاً ؛ ولم ترد إلا فى الفقرة المنقودة التى نقلتها من كلام الأخ عزام ، فكيف حملني عبء هذا الادعاء ؟ لا أدرى ! ولعله هو يدرى .

وأخيراً ، نقل الرحالة ثابت تفضيل الشيعة مشهداً على مكة متفق مع ما ينقله عالم شيعى عن عالم شيعى وبعدانه متواتراً ، وليس يتنافى هذا التفضيل مع فرضية الحج إلى مكة ، وليس يلزم من هذا التفضيل زيارة مشهد على الحج المفروض ، وهذا التفضيل لمشهد على مكة شىء آخر مغاير لتفضيل زيارة مشهد على الحج الى مكة ؛ وأسأل الله لى ولأخى الثبات والتثبت دائماً ؟

أمين الخولى

فى تاريخ الأدب المصرى

أيدمر المحسيوى

تتمة

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

أما الوصف فى شعر شاعرنا فهو وإن كان غير مقصود له بالذات يحدثنا كذلك عن بعض نواحى الحياة المصرية ، وبعض الجمال فيها ، يحدثك عن الطبيعة المصرية فى زمن الربيع ، فيصفها وصفاً دقيقاً ، ويحدثك عن الاحتفال بوفاء النيل ، فيصفه كأنك تراه ، ويصف لك الأبنية التى بناها الملك الصالح فيجعلك تشعر بالعظمة والأبهة اللتين تمتعت بهما تلك الأبنية . ويصف لك الجيش المصرى فتحس بالمجد المصرى والقوة المصرية والشجاعة المصرية التى لا تثنى عن قصد ولا تهزم أمام حصن مهما كان عظيماً . . قال يصف الجيش المصرى الذى فتح دمشق :

جيشاً تغص به الأرض الفضاء كما ... ترا كم الغيم يوم الدجن ذا زجل
من الكماة التى تطوى ضلوعهم ... على العزيمة والاقدام ، لا الفشل
من كل أمضى من الهندى فى يده ... عزماً ، وأنفذ إقداماً من الأسل
يكون أثبت يوم الروع من جبل ... راس ، وأجول فى الصفين من مثل

ولننصت اليه حين يصف لنا الاحتفال بوفاء النيل ، وكأنه يصف لنا الاحتفال الذى لا نزال نراه بأعيننا فى كل عام ، قال :

يوم تجلى الدهر منه بزينة ... لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث العيدين إلا أنه ... لهو ، ليس على العبادة يطلق
جمعت لمشهده خلائق غادرت ... فيه رحيب البر ، وهو مضيق
وعلى عباب البحر من سباحه ... أمم يغص بها الفضاء ، ويشرق
كادت تبين لهم على صفحاته ... طرق ، ولكن يفتقون ويرتق

ثم مضى يصف الأنوار ، ويصف المليك يحف به حاشيته الى آخر ما وصف به ذلك اليوم ، فاذا أنت ذهبت تستمع إليه ، وهو يحدثك حديث إبداع عن طبيعة مصر فى الربيع سمعته يقول :

الروض مقتبل الشبيبة مونق ... خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلىء عقده ... فالزهر منه متوج ، ومنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحا ... فغدت كأنم زهره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه ، فالتقى ... منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن ميال القوام كأنه ... نشوان يصبح بالنعيم ويغبق